خوفا من تأثير المسلمين .

قمت بزيارة بولس المعوشي ، بطريرك انطاكيا الماروني ، في الصرح البطريركي المهيب ، حيث يوجد مقره وكنيسته . كان ذلك صبيحة احد ايام الاحاد . حضرت القداس الذي اقامه البطريرك حسب الطقس السرياني ، ثم استعرض الحالة العامة في البلد خلال تناولنا طعام الغداء ، وبرهن عن معرفة مدهشة في المسائل السياسية . عاش البطريرك اربعة عشر عاما من شبابه في الولايات المتحدة مع الجالية اللبنانية التي كانت ترسل مبالغ كبيرة من المال الى عائلاتها التي بقيت في الوطن ، والبطريرك معروف جيدا في الولايات المتحدة ، وتأثيره كبير في لبنان .

قدمت ايضا احتراماتي لمطران الروم الارثوذكس صليبي الذي اخبرني ان له ٤٠٠ نسيب في الولايات المتحدة ، كذلك لمطران الروم الكاثوليك نبعة ، وكلاهما حكيم يؤخذ بدأته . لقد اطمأن بعض المسيحيين في لبنان الى وصول القوات الاميركية ، واعتقدوا انها ستقضي على الحرب الاهلية الطائفية التي تهدد سلامة الجمهورية . غير أن بعضهم الاخر ، قدر انه كان على رماة البحرية الاميركيين ، السيطرة على المتمردين بسرعة اكبر في مناطق تواجدهم على الاقل . بالطبع ، لقد اراد بعض السياسيين استغلال وجود القوات الاميركية في سبيل مصالحهم الخاصة . وكثيرون كانوا يتهمون الرئيس شمعون بالقيام بذلك .

ثابرت على زيارة الرئيس شمعون مرة او مرتين في اليوم الواحد برفقة السفير الاميركي . كما اجريت محادثات يومية مع هولووي ، الذي كان التعامل معه لذيذا . لم تتعثر العلاقات بين الدبلوماسيين والعسكريين الاميركيين يوما . وقد ساهم هذا الى حد كبير في نجاح مهمتنا اللبنانية.

اظهرت لنا دراسة متأنية قمنا بها على أرض المعركة ، ان الصراع يعود بنسبة كبيرة الى التنافس الشخصي وليست له اية علاقة بالخلافات الدولية . وأذا كان للشيوعيين اي امل بالاستفادة من اعمال الشغب ، فان دورهم المباشر في التمرد لم يكن له اهمية تذكر . لكن الواقع ليس كذلك بالنسبة للعملاء المصريين والسوريين . بعد محادثاتي مع شمعون ، ماكلينتوك ، هولووي وغيرهم من الشخصيات ، قدرت ان على المجلس النيابي انتخاب رئيس جديد للبلاد وفقا للدستور . واصررت على شمعون ورئيس المجلس ان يتخذا التدابير اللازمة في اسرع وقت ممكن . كنت آمل ، ان يهدىء هذا الحل النفوس ، ويسمح بانسحاب القوات الاميركية ، مع بقاء ممثلي الامم المتحدة بوصفهم مراقبين . وقد وافقت وزارة الخارجية الاميركية على هذا المخطط .

بدأت محادثاتي مع قادة المتمردين الاكثر نفوذا برفقة ماكلينتوك . كنت اريد ان اعرض عليهم موقف السياسة الاميركية واتاكد من تعاونهم . اخبرت شمعون بنيتي قبل الاتصال بهم . وكان واضحا ان مقابلتي مع اخصامه لا تعجبه ، لكنه لم يبد أي اعتراض . وقد ازالت هذه الاتصالات القدر الاكبر من سوء التفاهم حول النوايا الاميركية . وساهمت في آخر المطاف في تسوية الحرب الاهلية سلميا .

أردت في بادىء الامر مقابلة صائب سلام ، رئيس الوزراء السابق ، الذي يقود مجموعة من المسلمين الذين يسيطرون على البسطة ، وكان يقال انه بالغ السخط على التدخل الاميركي. وقد اقسم انه لن تجري انتخابات رئاسية قبل رحيل قواتنا . حاولت الحصول على حراسة من اللواء شهاب . لكن لم يكن من الممكن اقناعه بهذا ، طالما الامر يتعلق بالبسطة . لذلك سررت جدا حين التقيت في بيروت ، بصديقي القديم الكولونيل وليم أ. ادي الذي كان يشغل منصب مستشار فني لدى شركة النفط العربية الاميركية. كان ادي ملحقنا البحري الجدية في طنجة عام ١٩٤٢ حين كنت اهيىء للانزال الاميركي في افريقيا الشمالية . بادر هذا الضابط المتقاعد في البحرية واستاذ اللغة الانكليزية السابق في ارتموث ، والذي يتحدر من عائلة مبشرين ومستعربين ، الى تنظيم لقاء سري خارج بيروت مع اثنين من رجال صائب سلام . كان هذان الرجلان ، يعتقدان ان القوات الاميركية لم تات الى لبنان ، الا في سبيل ابقاء شمعون رئيسا .